



الإسماعيلية في كتاب الفهرست لابن النديم (٣٨٥هـ/٩٩٥م)

م.م بهاء ادريس مجيد

دكتوراه تاريخ إسلامي / التاريخ الفاطمي

مديرية تربية واسط / ثانوية المتفوقين للبنين

std20222023bmjeed@uowasit.edu.iq

المستخلص:

يتناول هذا البحث دراسة للإسماعيلية كما أوردها ابن النديم (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م) في موسوعته الشهيرة كتاب الفهرست، التي مثّلت في عصره مرجعاً فكرياً وثقافياً مهماً، إذ حرص ابن النديم على توثيق النتاج الفكري الإنساني بمختلف اتجاهاته، بما في ذلك الفرق والمذاهب الدينية والفكرية التي كانت موضع جدل واسع في عصره، ومن هنا جاء تناوله للإسماعيلية جزءاً طبيعياً من مشروعه البليوغرافي والمعرفي الكبير، الذي سعى من خلاله إلى حصر المؤلفات وأصحابها والتعريف بتيارات الفكر الإسلامي، ويُقدّم البحث قراءة تحليلية لمنهج ابن النديم في توصيف الإسماعيلية، مع بيان الكيفية التي عرض بها عقائدهم وأعلامهم ومصنفاتهم، فضلاً عن تحليل المصطلحات التي استخدمها للإشارة إليهم، ومدى تأثيره بالمناخ الفكري والسياسي السائد في العصر العباسي، كما يناقش البحث طبيعة المعلومات التي أوردها، ومقدار دقتها مقارنةً بالمصادر التاريخية الأخرى، وقد خلص البحث إلى أن الفهرست يُمثّل ظاهرة للرصد المنظم للإسماعيلية وكتبها، رغم ما شابته من بعض الغموض وعدم الدقة في التمييز بين فرقها واتجاهاتها المختلفة، إلا أنه قدّم مادةً تاريخيةً وفكريةً ذات قيمة عالية، يغلب عليها الطابع الوصفي والتوثيقي، مع تأثر محدود بالموثرات الفكرية والسياسية لعصره، واعتمد البحث المنهج التحليلي والوصفي، إلى جانب المقارنة مع النصوص التاريخية، بهدف الوصول إلى فهم أدقّ لصورة الإسماعيلية في كتاب الفهرست ومكانتها في التراث الإسلامي.



الكلمات المفتاحية: الإسماعيلية، ابن النديم، الفهرست، فرق الشيعة، الباطنية، القرامطة

Ismailism in *al-Fihrist* by Ibn al-Nadīm (d. 385 AH / 995 CE)

Assistant Lecturer Bahaa Idris Majeed

PhD in Islamic History / Fatimid History

std20222023bmjeed@uowasit.edu.iq

Abstract:

This study examines the account of the Ismailis as presented by ibn al-Nadīm (d. 385 AH / 995 CE) in his encyclopaedic work *Kitāb al-Fihrist*, at a time when the Ismaili movement constituted a significant intellectual force. The study offers a critical reading of Ibn al-Nadīm's methodology in describing the Ismailis, and analyses the terminology he employed in referring to them. The research concludes that *al-Fihrist* represents the earliest systematic survey of the Ismailis and their literary corpus. While the work is marked by a degree of ambiguity and imprecision in distinguishing between the various Ismaili sub-sects, it nonetheless presents material of considerable scholarly value, predominantly descriptive in character, with limited influence from the intellectual and political climate of the author's era

Keywords: Ismailis, Ibn al-Nadim, *Fihrist*, Shi'a sects, Batiniyya, Qarmatians.



المقدمة :-

صرّح ابن النديم في مقدمة كتابه بغرض تأليفه قائلاً: "هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها، في أصناف العلوم وأخبار مصنفاتها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم، وتاريخ موالدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم، ومناقبهم ومثالبهم" (ابن النديم، ٢٠١٤: ص ٣)، وتكتسب هذه المقدمة دلالة عميقة في سياق موضوعنا؛ إذ حرص ابن النديم على توثيق النتاج الفكري الانساني، بما فيها الفرق والمذاهب التي كانت موضع جدل حاد في عصره، ومن هنا كان تناوله للإسماعيلية جزءاً طبيعياً من مشروعه الببليوغرافي الكبير.

وقد ألف ابن النديم الفهرست في حقبة مهمة من مراحل تاريخ الإسماعيلية، إذ شهدت تلك الحقبة قيام الدولة الفاطمية في المغرب (٢٩٧هـ/٩٠٩م)، ثم انتقالها لمصر (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، وكذلك ذروة نشاط القرامطة في جزيرة العرب والعراق والشام، وهو ما جعلها محوراً مهماً في الخطاب السياسي والديني في عصره (Daftary, 2007: p. 91)، وهياً لها أن تكون ضمن اهتماماته التاريخية في كتابه الفهرست.

المبحث الأول: التعريف بابن النديم وكتابه الفهرست

أولاً- حياته ومكانته العلمية

هو أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق البغدادي، وُلد نحو (٣٢٠هـ/٩٣٢م) في بغداد وتوفي فيها (٣٨٥هـ/٩٩٥م)، عمل وراقاً وبائع كتب، وهي مهنة أتاحت له الاطلاع على مخزون هائل من المخطوطات، وقد جمع أيمن فؤاد سيد في تحقيقه للكتاب أدلة على أن ابن النديم كان ذا ميول شيعية إمامية، مما أثر على أسلوب تصنيف بعض الفرق دون أن يُخلّ بشمولية عمله (السيد، ٢٠١٤: ١٥)، وهذا أحد اسباب اهتمامنا بالموضوع.

وأشار في خاتمة المقالة الأولى إلى تاريخ تأليفه بقوله: "هذا آخر ما صنفناه من المقالة الأولى من كتاب الفهرست إلى يوم السبت مستهل شعبان سنة سبع وسبعين وثلاث مائة" (ابن النديم، ٢٠١٤: ٥٨)، وتكشف هذه الإشارة أن الكتاب كان يُؤلف بصورة تدريجية، وأن ابن النديم كان يُضيف إليه ويُعدّل فيه حتى قبيل وفاته، مما يعني أن المادة المتعلقة بالإسماعيلية كانت تعكس رؤيته الآتية لحركة في طور التطور المتسارع.



ثانياً- الإسماعيلية في كتاب الفهرست

يُعَدُّ كتاب الفهرست لأبن النديم موسوعةً علميةً شاملة، مثَّلت مرجعاً جامعاً لمؤلفات مختلف فروع المعرفة وقد رتَّب مؤلفه موضوعاته وفق منهجٍ نوعيٍّ متخصص، إذ قسَّمها إلى مقالات يختص كلُّ منها بعلمٍ معين، مثل مقالات النحويين، والشعراء، والفقهاء. واتَّبَعَ في عرض مادته منهجاً علمياً قائماً على التنظيم والتصنيف، مستفيداً من خبرته الواسعة بوصفه ورّاقاً مطلعاً على الكتب ومصادرها، وقد عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وهو عصر ازدهار الحركة العلمية، وكان على صلة وثيقة بالعلماء، وقد أشار ياقوت الحموي أن نسخ الكتاب بدأ سنة (٣٧٧هـ/٩٨٧م)، وتداوله الناس في حياة مؤلفه، قبل وفاته بسنوات (ياقوت الحموي، ١٩٩٧، ١٠٤: ١٠٤)، ورتَّب ابن النديم الفهرست في عشر مقالا، ومنها الإسماعيلية بصورة رئيسية في المقالة الخامسة المخصصة لعلم الكلام والمتكلمين، ولا نستبعد أنه قد أَعَدَّها ضمن الفرق الكلامية وإنها محل جدال بين أرباب الفكر والمقالات: وإلا لماذا وصفها ضمن مقالات المتكلمين، وتحديدًا في الفن الخاص بفرق الشيعة، وتنقسم المصادر التي اعتمد عليها كما أشار المحقق إلى ذلك وهي أولاً: ما رآه بنفسه من كتب، وثانياً ما أخبره به معاصروه الثقات، وثالثاً ما نقله عن المصادر المكتوبة المتاحة (سيد، ٢٠١٤، ٤٠: ٤٧)، وهذا ما سيتبين لنا في متن البحث.

المبحث الثاني: النصوص الخاصة بالإسماعيلية في كتاب الفهرست

أولاً- مصطلح الباطنية

لا يستعمل ابن النديم مصطلح الإسماعيلية وحده، بل يُوظَّف تسميات متعددة يُحيل بها على الخط ذاته أو فروع منه وأبرز هذه التسميات الباطنية، وهو المصطلح الأكثر شيوعاً في أدبيات عصره؛ لأنه يبين مدى انتباه ابن النديم في تعامله مع هذا المصطلح، ولعله أدرك أنه الأكثر استعمالاً آنذاك وتطرق له وقد شرح الشهرستاني (ت ١١٥٣م/٥٤٨هـ) دلالة هذا المصطلح بقوله: "أشهر ألقابهم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلًا، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم، فبالعراق يسمّون الباطنية والقرامطة فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خُوزستان إلى سواد الكوفة اسمه حمدان ولقبه قرمط، وهم يقولون: نحن إسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم" (الشهرستاني، ١٩٧٥، ١: ١٩١).



وهذا الشرح بين لنا وفق ما لدينا من معلومات سبب تعدد هذه المصطلحات لدى ابن النديم؛ فهو كان ينقل الألقاب التي أطلقها عليهم معاصروه في بغداد وبقية الأمصار، لا ألقابهم لأنفسهم، بمعنى انها لم تنشأ من داخل الجماعة نفسها، بل جاءت من خارج إطارها الفكري، لذلك فإن عرض ابن النديم لتلك المصطلحات هي انعكاساً للواقع الفكري والاجتماعي لعصره، فذكرهم قائلاً: "وسُموا باطنية لأنهم تأولوا ظواهر الشرائع على بواطنها" (ابن النديم، ٢٠١٤: ٢٤١).

ثانياً- وصف ابن النديم للدعوة الإسماعيلية

يُورد ابن النديم في المقالة الخامسة من كتابه معلومات عن الدعوة الإسماعيلية ودعاتها، واصفاً نظامها السري وطريقة انتشارها فيقول: "وهؤلاء قوم يدعون أن لكل ظاهر باطنًا، وأن العلم بالباطن لا يُؤخذ إلا عن الأئمة المعصومين من آل محمد ﷺ ... ، وقد ألفوا كتبًا كثيرة في الدعوة والحجج والتأويلات، وانتشرت دعوتهم في اليمن والعراق والمغرب والشام" (ابن النديم، ٢٠١٤: ٢٣٨-٢٤٠)، ولا نعرف لماذا لم يتطرق لذكر هذه الكتب مع العلم انه ذكر العديد من كتب الفرق الاخرى، وهذه ايضا دلالة على ان ابن النديم لم يذكر جميع المؤلفات التي عاصرتها.

وبهذا النص بين ان ابن النديم كان مُدرِكًا للبُعد التنظيمي للدعوة الإسماعيلية والركائز التي تقوم عليها الدعوة من مفهوم الإمامة والتأويل الباطني، وبشكل واضح بما يتعلق بموضوع الامامة يقول: "وقالت فرقة بإمامة إسماعيل بن جعفر، وزعمت أن الإمامة لا تخرج من ولده" (ابن النديم، ٢٠١٤: ٢٣٦)، فالشيء المركزي للنظام الفكري الإسماعيلي هو التمييز الأساسي بين الجانبين الظاهري والباطني للنصوص المقدسة (دفترى، ٢٠١٨: ٢٥٤)، مما جعل ابن النديم مدرِكًا لطبيعة الخلاف بينهم وبين الفرق الاخرى بتلك العقائد.

ولا يقتصر حديث ابن النديم عن الإسماعيلية على وصف نظامها الديني فحسب، بل يمتد إلى إشكالية النسب، إذ يعرض الفهرست ضمن الصفحات المخصصة لهذه الحركة، تبايناً في الروايات حول اتصال نسب أئمتهم بالبيت العلوي، فبينما تتمسك الرواية الإسماعيلية بأن الإمامة انتقلت في ذرية إسماعيل بن جعفر انتقالاً حقيقياً متصلاً (ابن النديم، ٢٠١٤: ٦٧١-٦٧٢)، وتقل مصادر أخرى كما سيأتي بيانه عند الحديث عن ابن رزّام رواية مضادة تشكك في هذا الاتصال وتنسب أصل الدعوة إلى عبدالله بن ميمون القدّاح (ابن النديم، ٢٠١٤: ٣٦٥)، وهذا التباين في الأخبار



يكشف أن استثمار النسب العلوي كان جوهر الصراع بين المؤرخين حول شرعية الحركة، وأن ابن النديم نقل طرفي هذا الجدل دون أن يحسمه (ابن النديم، ٢٠١٤: ٦٦٦) .

ثالثاً- منهج ابن النديم في التمييز بين الإسماعيلية والقرامطة

ميز ابن النديم بين الإسماعيلية والقرامطة ولكن بشكل غير منتظم بوصفهم جزءاً محدداً، فهو يذكر حمدان بن الأشعث الملقب بالقرمط (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م) مؤسس حركة القرامطة المنشقة وكيف نشأة حركته في الكوفة بوصفها حركة ذات طابع خاص، وإن ظلت مرتبطةً بجذور الدعوة الإسماعيلية، وقد وصف ابن النديم نشاط الأخير بقوله: " وجمع إليه جماعة من الناس، وادّعى أن الإمام الغائب يعلم بأحوالهم ويدعو لهم "(ابن النديم، ٢٠١٤، ص ٢٣٨) ، وأحد أهم الأدلة على الدور الكبير الذي لعبه حمدان في تلك الفترة هو أن الدعوة في العراق تسمت باسمه ولقبه، فصار يُطلق على أتباعه اسم القرامطة نسبةً للقب قرمط الذي كان حمدان يُعرف به (ابن النديم، ٢٠١٤: ٢٤٣) .

وبعد ذلك برز قرامطة البحرين وهم امتداد للدعوة الإسماعيلية وسرعان ما ظهر منها تيار الرفض والاعتراض للدعوة الفاطمية، فأن حمدان قد أعلن نفسه أنه داعية لحركة الإسماعيلية، وأنشأ مركز سلطته بالقرب من الكوفة (قرية مهيماباذ) وقد عرفت بدار الهجرة وحصنها بسور منيع وكان لاختياره لهذه البقعة لها دلالاتها السياسية والعسكرية والدينية (النويري، ١٩٩٢: ٢٢٨-٢٢٩)، ويذكر ابن النديم أن أغلب الكتب التي ألّفت بالتنظير للمذهب الإسماعيلي قد نسبت إليه (ابن النديم، ٢٠١٤: ٦٦٧) .

رابعاً- الببليوغرافية للكتب الإسماعيلية في الفهرست

يُعدّ الجانب الببليوغرافي من أهم ما قدّمه الفهرست في هذا الباب، فقد رصد مصنفات عدة من نتاج الإسماعيلية، مما يُقدّم شهادةً حيّةً على الإنتاج الفكري الإسماعيلي في مرحلته المبكرة فقال ابن النديم أن: " من كتب أصحاب الدعوة :كتاب الرسالة في الأصول، كتاب الإيضاح في الإمامة، كتاب البلاغ الأكبر، كتاب المجالس والمسائرات في التأويل، كتاب الكشف في التفسير الباطني"(ابن النديم، ٢٠١٤: ١٢٤)

وتجدر الإشارة إلى أن بعض هذه العناوين وصلنا، وبعضها ضاع، فكتاب المجالس والمسائرات للقاضي النعمان القيرواني (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)، هو ابن أبي عبدالله بن محمد بن احمد، ولقب بعدد



من الألقاب تدل كلها على المكانة السياسية والدينية والعلمية لدى الإسماعيلية (ابن خلكان، د- ت: ٤١٥)، ويُعدّ من أهم المصادر الإسماعيلية المبكرة (دفتري، ٢٠٠٤: ١٧-٢٢).

ولا تقتصر ببليوغرافية الفهرست على كتاب المجالس والمسائرات وحده، فقد ذكر ابن النديم كذلك مصنّفات لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت ٣٢٢هـ/٩٣٤م)، الداعية الإسماعيلي الذي عُني بالجدل الكلامي والفلسفي، وكذلك لمحمد بن أحمد النسفي (ت ٣٣٢هـ/٩٤٤م)، صاحب كتاب المحصول الذي يُعدّ من أوائل النصوص النظرية للدعوة في خراسان وما وراء النهر (ابن النديم، ٢٠١٤: ١٢٦).

خامساً- ما نقله ابن النديم عن ابن رزّام والرد على الإسماعيلية يُشير ابن النديم إلى أبرز الردود التي صدرت عن خصوم الإسماعيلية، ومن أبرزها كتاب ابن رزّام الطائي الكوفي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)، عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، هو من أشاع انتساب الفاطميين إلى ميمون القداح وإن كتابه هذا مفقود، إلا أنّ بعض المؤرخين نقل من كتابه بعض الاخبار ومنهم ابن النديم، الذي وصفه بكونه من المعلقين على الباطنية والقرامطة، فذكر ابن النديم بقوله: "وللشريف الجليل أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن رزّام كتاب في الرد على الباطنية، وكشف أسرارهم وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم" (ابن النديم، ٢٠١٤: ١٤٢)، وتحدد المحاور الرئيسية لرواية ابن رزّام في الفهرست بمسألة النسب والأصل، ينقل ابن النديم عن ابن رزّام الطعنَ الجوهري في انتساب الأئمة الفاطميين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق (ت ١٣٨هـ/٧٥٥م) (عليه السلام)، ويعرض رواية عبدالله بن ميمون القدّاح (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م)، باعتباره المؤسس الحقيقي للدعوة، وقد أثبت (دفتري) أن هذه الرواية التي تنسب الفاطميين إلى ميمون القدّاح هي رواية مدسوسة ذات طابع جدلي، ابتكرها الخصوم لتشكيك الرأي العام في شرعية الدولة الفاطمية، (دفتري، ٢٠٠٤: ٢٠)، وذكر ابن رزّام أن عبدالله بن ميمون القدّاح وضع هذا المذهب وأسس هذه الدعوة، وجعل لها دُعاة في الآفاق" (ابن النديم، ٢٠١٤: ٣٦٥).

هنا يطرح سؤال لماذا اهتم ابن النديم بما كتبه ابن رزّام عن الإسماعيلية، بالرغم انه لم يكن على قناعة تامة بما ذكره، ومبيناً صراحة بقوله "وأنا أبرأ من العُهدة في الصدق عنه أو الكذب فيه" (ابن النديم، ٢٠١٤: ٦٦٦)، يعني أن ابن النديم كان يعلم تماماً أنه ينقل عن خصم مُتَحَيِّز، ولتبين ذلك يمكن ان نوجز ببعض النقاط المهمة:



١- مشكلة العثور أو الوصول الى المصادر الإسماعيلية التي عرفت عنها بسريرتها التامة لأن أساس الدعوة الإسماعيلية هي الكتمان والسرية، فاستعان بكتاب ابن رزام مصدراً لا بديل عنه مستخدماً ذلك للتوثيق فقط .

٢- كتب ابن النديم كتابه في حقبة بالغة الحساسية من الناحية السياسية، تمثلت بالصراع القائم بين الدولة العباسية والدولة الفاطمية، لاسيما حول الخلافة الشرعية للعالم الإسلامي، إذ كانت الخلافة الفاطمية تستند بدعواها على الاحقية في الخلافة، في ظل هذه ظروف لم يكن الكلام عن الإسماعيلية بريئاً محايداً، وانما كان محاطاً بحساسيات سياسية جسيمة ، وفي هذا الإطار، كان ابن النديم يسعى للحصول على مصدر نقدي قد عرف بعدائه للإسماعيلية وهذا ما جعله ان يطرح المعلومة دون أن يكون مؤيداً لها، ويضعها في مكان الردود والانتقادات لا في إطار الانتماء او التعاطف .

٣- مقدرة ابن النديم بالتعامل مع هذه الرواية من خلال تصريحه المباشر من ابن رزام ومن ثم تبرأه الصريح من صحة الرواية لقوله: "انا أبرأ من العهدة في الصدق او الكذب"، إذ لم يكن مجرد تعبيراً منهجياً، بل كان يقر بأن المؤرخ لا يستطيع التحقق من كل مصادره .

أما بما يتعلق بتنظيم الدعوة فقد عرض ابن النديم وصفاً لمراتب الدعوة الإسماعيلية ودرجاتها من حجة وداعي الدعاة وهي مراتب الدعوة الإسماعيلية وكذلك كتاب "البلاغ الأول"، للعامّة، وكتاب "البلاغ الثاني"، لفوق هؤلاء قليلاً، وكتاب "البلاغ الثالث"، لمن دخل في المذهب فترة سنة، وكتاب "البلاغ الرابع"، لمن دخل في المذهب فترة سنتين، وكتاب "البلاغ الخامس"، لمن دخل في المذهب فترة ثلاث سنين، وكتاب "البلاغ السادس"، لمن دخل في المذهب أربع سنين، وكتاب "البلاغ السابع"، وفيه يصل الى المرحلة الاخير في مراتب الدعوة والاكثر تقدماً (ابن النديم، ٢٠١٤، ٦٧١-٦٧٢).

وقد ذهب أحد المستشرقين في تشخيص وصف ابن النديم لابن رزام، إذ بين الوصف العدائي للأخير للإسماعيلية (Walker, 1993, pp. 3-5)، مع ذلك بقي ابن رزام الرافد المغذي في كتاب الفهرست في نقل الصورة التاريخية للإسماعيلية حتى القرن السادس الهجري (Halm, 1996, pp. 11-20)، ومع اهميته كمصدر معاصر لهذا الموضوع الا أنّ كتابه لم يصل كاملاً، وقد وصلت أجزاء منه نقلها النويري (٧٣٣هـ/١٣٣٢م) في موسوعته نهاية الأرب في صفحات متعددة



وكذلك المقريري (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٥٠ م) في الخطط والدوايري (ت ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م) في كنز الدرر، مما جعل إشارة ابن النديم إليه شاهداً مبكراً على وجود هذا العمل (المقريري، ١٩٩٦: ١٥١).

المبحث الثالث: مقارنة معلومات ابن النديم بالمصادر الأخرى

أولاً: الفرق بين الفرق للبغدادي

يُقدّم عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) في كتابه "الفرق بين الفرق" صورةً مختلفة تماماً عن صورة الفهرست؛ إذ يصف الإسماعيلية وصفاً مغايراً عما يتكلم به ابن النديم، ويذكرهم بجماعة المارقين الملاحدة بينما يكتفي ابن النديم بالتسجيل والرصد، وهو ما اتصف به ابن النديم في وصفه للإسماعيلية بكل حيادية ومنهجية دون إطلاق وصفاً هجومياً وعدائياً، مما جعل البغدادي يتعرض إلى إدانة صريحة، هذا يُبين الفارق المنهجي الجوهرى بين الاثنين (البغدادي، ١٩٧٧: ٢٦٥-٢٩٠).

ثانياً: كتاب الملل والنحل للشهرستاني

استكمل الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) ما أورده ابن النديم بإيجاز، حيث قدّم عرضاً أكثر تفصيلاً للعقائد الإسماعيلية، موضحاً أصول نظريتهم بقوله: "وهؤلاء الباطنية قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنّفوا كتبهم على هذا المنهاج، فقالوا في الباري تعالى: إنا لا نقول هو موجود ولا غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات" (الشهرستاني، ١٩٧٥: ١٩٢)، ومقارنةً برواية ابن النديم، يتضح أن الشهرستاني الذي جاء بعده بأكثر من قرن ونصف كان يعتمد على مصادر إسماعيلية داخلية أكثر وفرة وتنوعاً مما كان متاحاً لابن النديم في القرن الرابع الهجري، وهو ما يُفسّر ثراء شرحه العقدي مقارنةً بالطابع الببليوغرافي الغالب على رواية الفهرست، لأن الشهرستاني مؤرخاً مختصاً بالفرق والملل وابن النديم وراق وكاتب.

ثالثاً: فرق الشيعة للنوبختي ومقالات الإسلاميين للأشعري

لا تكتمل صورة موقع الفهرست من مصادر الفرق الشيعية إلا بمقارنته بمصنّفين سبقا ابن النديم زمنياً، هما الحسن بن موسى النوبختي (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) في كتابه فرق الشيعة، وأبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م) في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، فقد تناول النوبختي انقسام الشيعة بعد وفاة جعفر الصادق (عليه السلام) إلى فرق متعددة، منها الفرقة التي تمسّكت



بإمامة إسماعيل بن جعفر ثم بابنه محمد بن إسماعيل (النوبختي، ١٩٣١: ٧٠-٧٥)، أي قبل تناول ابن النديم لهذا الانقسام بزمان يزيد على سبعين عاماً، كما عرض الأشعري في مقالاته صورة موازية عن هذه الفرقة ضمن مسحه العام لفرق الأمة الإسلامية (الأشعري، ١٩٨٠: ٢٩) .

وعليه فإن وصف الفهرست بأنه أقدم رصد للإسماعيلية ينبغي أن يُقيد بكونه أقدم جرد ببليوغرافي مخصص لمصنفاتهم، لا أقدم إشارة إلى وجودهم كفرقة قائمة بذاتها، إذ سبقه النوبختي والأشعري في تسجيل أصل الانقسام والخلاف حول الإمامة.

رابعاً: أهمية ما ورد في الفهرست بالنسبة للإسماعيلية

مثل كتاب الفهرست رفداً معلوماتياً مهماً عن الاسماعيلية، إذ عد أول جرد شامل لمصادرها وهذا ما أكده أحد الباحثين الذي ذهب بالقول أن لأبن النديم أقدم قائمة خارجية بالمؤلفات الإسماعيلية المتاحة لنا، إلا أن معلوماته تظل بالضرورة غير مكتملة نظراً للسرية التي كانت تُحيط بالدعوة الإسماعيلية في ذلك الوقت، (Daftary, 2004, p. 3)، ويعني هذا أن محدودية رواية الفهرست ليست نقصاً في ابن النديم بقدر ما هي انعكاس لمحدودية ما كان متاحاً في القرن الرابع الهجري بمعلومات تخص أخبار الإسماعيلية .

ويكتسب الفهرست أهمية فريدة في دراسة الإسماعيلية من ثلاث نقاط :أولها التأريخ الببليوغرافي إذ سجل أقدم قائمة منظمة لكتب الإسماعيلية في مرحلتها المبكرة، وثانيها شهادة المؤرخ باعتباره معاصراً مكانياً وزمانياً للفاطميين، وثالثها حفظ الأسماء الضائعة إذ يُنبت الفهرست عناوين لكتب وأسماء لأعلام طواها النسيان في مصادر أخرى فيقول: "دونت اصناف العلوم واخبار مصنفها وطبقات مؤلفيها وانسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ اعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم أخترع الى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة"(ابن النديم، ٢٠١٤: ٢٦٩)، وقد وصف (بايارد دودج) مترجم الفهرست إلى الإنجليزية هذه القيمة بقوله: "يعدّ كتاب الفهرست للنديم أكثر فهرس اكتمالاً للكتب المؤلفة باللغة العربية ممّا وصل إلينا من العصر الإسلامي ، ولا يزال مرجعاً لا غنى عنه لدراسة التاريخ الفكري للقرن الرابع الهجري" (Dodge ,p. xxiv) .



جدول أهم المصادر الإسماعيلية التي دونها ابن النديم

ت	اسم الكتاب	اسم المؤرخ	المرحلة	الفترة التاريخية للكتاب	أهمية الكتاب
١	دعائم الإسلام	القاضي النعمان	الفاطمية	القرن الرابع الهجري	أهم مصدر فقهي إسماعيلي فاطمي، اعتمدته الدولة الفاطمية رسميًا
٢	تأويل دعائم الإسلام	القاضي النعمان	الفاطمية	القرن الرابع الهجري	يشرح البعد الباطني والتأويلي للأحكام الشرعية
٣	أساس التأويل	القاضي النعمان	الفاطمية	القرن الرابع الهجري	من أهم كتب التأويل الباطني للقرآن والشرائع
٤	افتتاح الدعوة	القاضي النعمان	الفاطمية	القرن الرابع الهجري	مصدر رئيس لتاريخ الدعوة الفاطمية في المغرب
٥	راحة العقل	حميد الدين الكرمانى	الفاطمية	القرن الخامس الهجري	من أهم الكتب الفلسفية والعقلية في الفكر الإسماعيلي
٦	الرياض	حميد الدين الكرمانى	الفاطمية	القرن الخامس الهجري	يعالج قضايا الإمامة والعقل والنفوس
٧	سرائر النطقاء	جعفر بن منصور اليمنى	الإسماعيلية المبكرة	القرن الرابع الهجري	من أقدم النصوص التأويلية الإسماعيلية
٨	العالم والغلام	جعفر بن منصور اليمنى	الإسماعيلية المبكرة	القرن الرابع الهجري	نص رمزي يعكس أسلوب الدعوة والتعليم الباطني



٩	الينابيع	ابو يعقوب السجستاني	الإسماعيلية	القرن الرابع الهجري	من أهم كتب العقيدة والفلسفة الإسماعيلية
١٠	إثبات النبوات	ابو يعقوب السجستاني	الإسماعيلية	القرن الرابع الهجري	يناقش النبوة والإمامة بمنهج فلسفي
١١	زاد المسافرين	ناصر خسرو	النزارية	القرن الخامس الهجري	يجمع بين العقيدة والفلسفة والأخلاق
١٢	وجه الدين	ناصر خسرو	النزارية	القرن الخامس الهجري	من أهم كتب التأويل الديني عند ناصر خسرو
١٣	جامع الحكمتين	ناصر خسرو	النزارية	القرن الخامس الهجري	محاولة للتوفيق بين الفلسفة والدين
١٤	المجالس والمؤيدات	المؤيد في الدين الشيرازي	الفاطمية	القرن الخامس الهجري	يحتوي مجالس تعليمية ودعوية إسماعيلية مهمة
١٥	سيرة المؤيد	المؤيد في الدين الشيرازي	الفاطمية	القرن الخامس الهجري	مصدر أساسي لتاريخ الدعوة الفاطمية

في مقابل هذه القيم التي امتاز بها كتاب الفهرست، ثمة حدود منهجية لا يصح إغفالها، هي الخلط الاصطلاحي بين المصطلحات الدالة على فرق إسماعيلية مختلفة، كذلك الاعتماد على المصادر المعادية للإسماعيلية في وصف أفكارهم، وأيضاً الفراغات التي تركها ابن النديم في الكتاب لم نجد لها تكملة، وقد نبّه الدكتور أيمن فؤاد سيد في مقدمة تحقيقه إلى أن "المخطوطات الواصلة إلينا من الفهرست لا تكمل بعضها بعضاً في كل الأبواب، ومن بينها أبواب الفرق الكلامية، مما يعني أن الصورة التي يُقدّمها ابن النديم عن بعض الفرق قد تكون ناقصة أو مشوّهة بسبب الثغرات في النسخ الواصلة" (سيد، ٢٠١٤: ٤٧).



الخاتمة والنتائج :

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- لا شك أن أبا عبدالله محمد بن علي بن رزّام الطائي الكوفي (ت. نحو ٣٥٠هـ)، يمثل المصدر الرئيسي والأكثر حضوراً في رواية ابن النديم عن الإسماعيلية، لا سيما في ما يخص: نسب الأئمة الإسماعيليين وادعاء انقطاعه وأخبار عبدالله بن ميمون القدّاح وتأسيس الدعوة والطعن في شرعية الفاطميين، وكان ابن رزّام من أشد المناهضين للإسماعيلية .

٢- ذكر ابن النديم في الفهرست أسماء كتب إسماعيلية بدقة لافتة، مثل كتب أبي حاتم الرازي ومحمد بن أحمد النسفي وغيرهما، هذه الكتب لا يمكن أن تكون مصدرها ابن رزّام وحده، لأن بعضها يعكس قدرته ومعرفته بمتابعة وتوثيق هذه الكتب لكونه وراقاً معروفاً في عصره ..

٣- يُعدّ كتاب الفهرست أقدم شاهدٍ بيبليوغرافي للإسماعيلية، وتاريخ الدولة الفاطمية ، غير أنّ معالجته اتّسمت بالطابع الوصفي البيبليوغرافي أكثر من التحليل العقدي المنهجي لكونه وراق أكثر من كونه مؤرخاً.

٤- يكشف تحليل نصوص كتال الفهرست قد استخدم جملةً من المصطلحات المتداخلة (الباطنية، القرامطة، السبعية، الملاحدة) بصورة غير منهجية أحياناً، وهو ما عكس طبيعة التفكير المعرفي السائد آنذاك في بغداد ابان القرن الرابع الهجري حيال هذه الحركة.

٥- ما ذكره ابن النديم لقوله: "نحو عشرين سنةً تناقص أمرُ المذهب، وقلّ الدعاةُ فيه، حتى أنّي لا أرى من الكتب المصنّفة فيه شيئاً بعد أن كان في أيام مُعزّ" (ابن النديم، ٢٠١٤ : ٦٧٢)، وهذا الحكم قد أثار تساؤلاً ؛ هل قصد تراجعها في بغداد ؟ أم أنه قصد بشكل عام ؟ بينما الواقع التاريخي يشير إلى أن الفاطميين كانوا في ذروة قوتهم آنذاك، مع توغل دعائهم في فارس والعراق وبلاد الشام ، وهذا يدفعنا للقول: إنّ ابن النديم بالرغم من سعة اطلاعه إلا أنه كان محدود الرؤية جغرافياً إلى حد ما، وكان محدداً بمكانه في بغداد فقط .

٦- على الرغم من محدوديته، يبقى الفهرست وثيقةً تاريخيةً لا غنى عنها، وشاهدًا حيًا على مستوى المعرفة المتاحة عن الإسماعيلية في اللحظة التي كانت فيها الدولة الفاطمية تُرسّخ حضورها في حوض البحر المتوسط .



قائمة المصادر والمراجع :

أولاً: المصادر الأولية

- ١- البغدادي، عبد القاهر، (١٩٧٧م)، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة.
- ٢- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، (١٩٧١م)، وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت .
- ٣- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، (١٩٧٥م)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.
- ٤- المقرئ، تقي الدين، (١٩٩٦م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- ٥- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (٢٠١٤م)، الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الطبعة الثانية، مزودة ومنقحة، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .
- ٦- النويري، أحمد بن عبد الوهاب، (١٩٩٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٧- النوبختي، الحسن بن موسى، (١٩٣١م)، فرق الشيعة، تحقيق: هلموت ريتز، إستانبول، مطبعة الدولة .
- ٨- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (١٩٨٠م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتز، فيسبادن، دار النشر فرانكس شتاينر .

ثانياً: المراجع الحديثة

- ١- دفتر، فرهاد، الإسماعيليون :تاريخهم وعقائدهم، ترجمة: سيف الدين القصير، الطبعة الثانية، (٢٠١٢م)، بيروت :دار الساقي .
- ٢- الأدبيات الإسماعيلية: ببلوغرافيا المصادر والدراسات، ترجمة وإعداد: لندن، (٢٠٠٤م)، مؤسسة الدراسات الإسماعيلية .



٣- العالم الشيعي طرائق في التقليد والحداثة، ترجمة: سيف الدين القصير، الطبعة الاولى، (٢٠١٨م)، بيروت، دار الساقى .

٤- معجم التاريخ الإسماعيلي، ترجمة: سيف الدين القصير، الطبعة الاولى، (٢٠١٦م)، بيروت، دار الساقى .

٥- سيد، أيمن فؤاد، مقدمة تحقيق كتاب الفهرست لابن النديم، الطبعة الثانية، (٢٠١٤م)، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .

1-Al-Baghdādī, ‘Abd al-Qāhir. (1977). Al-Farq bayn al-Firaq [The Distinction Between Sects]. Ed. Muḥammad Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Hamīd. Beirut: Dār al-Ma‘rifa.

2-Ibn Khallikān, Abū al-‘Abbās Shams al-Dīn. (1971). Wafayāt al-A‘yān wa-Anbā’ Abnā’ al-Zamān [Deaths of Eminent Men and News of the Sons of the Age]. Ed. Iḥsān ‘Abbās. Beirut: Dār Ṣādir.

3-Al-Shahrastānī, Muḥammad ibn ‘Abd al-Karīm. (1975). Al-Milal wa-al-Niḥal [Religious Communities and Sects]. Ed. Muḥammad Sayyid Kīlānī. Beirut: Dār al-Ma‘rifa.

4--Maqrīzī, Taqī al-Dīn. (1996). Itti‘āz al-Ḥunafā’ bi-Akḥbār al-A‘imma al-Fāṭimiyyīn al-Khulafā’ [Admonition of the Upright Concerning the History of the Fatimid Imams and Caliphs]. Ed. Jamāl al-Dīn al-Shayyāl. Cairo: Al-Majlis al-A‘lā li-al-Shu‘ūn al-Islāmiyya.

5-Ibn al-Nadīm, Abū al-Faraj Muḥammad ibn Ishāq. (2014). Al-Fihrist. Ed. Ayman Fu‘ād Sayyid. 2nd ed., revised and expanded. London: Al-Furqān Islamic Heritage Foundation.

6-Al-Nuwayrī, Aḥmad ibn ‘Abd al-Wahhāb. (1992). Nihāyat al-Arab fī Funūn al-Adab [The Ultimate Ambition in the Arts of Erudition]. Cairo: Al-Hay’a al-Miṣriyya al-‘Āmma li-al-Kitāb.

المراجع غير المترجمة :

1- Daftary, F. (1998). A Short History of the Ismailis: Traditions of a Muslim Community. Edinburgh: Edinburgh University Press.



- 2- Daftary, F. (2004). *Ismaili Literature: A Bibliography of Sources and Studies*. London/New York: I.B. Tauris / The Institute of Ismaili Studies.
- 3- Daftary, Farhad. (2004). *Al-Adabiyyāt al-Ismā'īliyya: Biblyūghrafīyā al-Maṣādir wa-al-Dirāsāt* [Ismaili Literature: A Bibliography of Sources and Studies]. Trans. and comp. London: Institute of Ismaili Studies.
- 4- Daftary, F. (2007). *The Ismailis: Their History and Doctrines* (2nd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.
- 5- Daftary, Farhad. (2012). *Al-Ismā'īliyyūn: Tārīkhuhum wa-'Aqā'iduhum* [The Ismā'īlīs: Their History and Doctrines]. Trans. Sayf al-Dīn al-Qaṣīr. 2nd ed. Beirut: Dār al-Sāqī.
- 6- Daftary, Farhad. (2016). *Mu'jam al-Tārīkh al-Ismā'īlī* [A Dictionary of Ismaili History]. Trans. Sayf al-Dīn al-Qaṣīr. 1st ed. Beirut: Dār al-Sāqī.
- 7- Daftary, Farhad, et al. (2018). *Al-'Ālam al-Shī'ī: Ṭarā'iq fī al-Taqlīd wa-al-Ḥadātha* [The Shia World: Pathways in Tradition and Modernity]. Trans. Sayf al-Dīn al-Qaṣīr. 1st ed. Beirut: Dār al-Sāqī.
- 8- Dodge, B. (Ed. & Trans.). (1970). *The Fihrist of al-Nadim: A Tenth-Century Survey of Muslim Culture* (2 vols.). New York: Columbia University Press.
- 9- Halm, H. (1996). *The empire of the Mahdi: The rise of the Fatimids* (M. Bonner, Trans.). Brill.
- 10- Saummo, J. (2007). *The structure of the Fihrist: Ibn al-Nadim as historian of Islamic legal and theological schools*. ResearchGate.
- 11- Sayyid, Ayman Fu'ād. (2014). *Muqaddimat Taḥqīq Kitāb al-Fihrist li-Ibn al-Nadīm* [Introduction to the Critical Edition of Ibn al-Nadīm's Kitāb al-Fihrist]. 2nd ed. London: Al-Furqān Islamic Heritage Foundation.
- 12- Walker, P. (1993). *Early philosophical Shiism: The Ismaili Neoplatonism of Abū Ya'qūb al-Sijistānī*. Cambridge University Press.